

الجبرية

القسم الثاني : غلبوا قدرة الله وهم الجبرية الذين لم يجعلوا للعبد أية قدرة، بل جعلوه مجبوراً على حركاته وعلى أفعاله، وليس له أية أفعال، ولا تنسب إليه أية أقوال، بل إن حركاته بمنزلة حركة الشجر التي تحركها الرياح، أو حركة المرتعش الذي ترتد يداه، ولا يقدر على أن يمسكهما، فجعلوه مجبراً على فعله، ولم يجعلوا له أي اختيار في ذلك، ويقول قائلهم: ألقاه في البحر مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء!! ويقول آخر: وضعوا اللحم للبزة على ذروتني عدن ثم لاموا البزة إذ أطلقوا لهن الرسن لو أرادوا صيانتني ستروا وجهك الحسن فكانهم يقولون: إن الله هو الذي أوقع العبد في المعصية، وهو الذي حرك أفعاله، فإذن تعذبه له يكون ظلماً، فليس للعبد أي اختيار!! ولا شك أنهم مخطئون. ولا بأس أن أعلق على أقوالهم وإن كان الكلام يستدعي طولاً، فأقول: إن هؤلاء متناقضون؛ ذلك لأنهم لا يستمرون على فعلهم، بل إنهم لا يعتمدون عليه في كل الأحوال، ولا يحتجون بالقدر في كل حال من الأحوال. ونقول لهؤلاء: إذا كان الحال كذلك فلا تطلبوا المعيشة ما دام أن الله قدر لكم رزقا، فإنه سيأتيكم به، اجلسوا في بيوتكم ولا تتكسبوا، ولا تحرثوا، ولا تزرعوا، ولا تتاجروا، ولا تتعلموا، ولا تعملوا، أي عمل! بل لا تأكلوا، ولا تشربوا، ولا غير ذلك، فإذا كان الله قد قدر لكم ذلك، فإنه سيأتيكم ويصل إليكم! فلو قلنا ذلك لهم لما امتثلوا، فدل ذلك على أنهم متناقضون. فما دام أنك تقدر، وأنت تطلب في أمور الدنيا، فلماذا لا يكون لك القدرة على الأعمال الصالحة، مثل العبادات والطاعات والحسنات والقربات ونحوها؟! كذلك أيضا نقول لهم: إن هذا كله بقضاء وقدر، ولكن لكم أفعال تستطيعون بها أن تنسب إليكم، فقد روي أن عمر -رضي الله عنه- رفع إليه سارق، فلما أراد أن يقطع يده قال السارق: يا أمير المؤمنين، هذا قدر، فالله قدر علي هذه السرقة. فقال عمر -رضي الله عنه- أنت سرقت بقدر الله، ونحن نقطع يدك بقدر الله. فإذا كان هذا بقدر، فهذا أيضا بقدر! كذلك ذكر أن رجلا كان يقود أعمى، فجعل يقوده بعنف، وجعل يعثر به في الحفر، وفي الحجارة، ونحوها ويقول: هذا بقدر! هذا مقدر! ثم إن الرجل الأعمى ضربه بعصاه بقوة، فقال: هذا أيضا بقدر، فإذا كان تعثرك بي وتعمدك بي بقدر، فأنا أضربك بقضاء وقدر! ونقول لهؤلاء أيضا: إن العقوبة التي رتبها الله تعالى على هذه الأفعال، لا شك أنكم تستحقونها؛ لأن الله رتب على من فعل كذا عقوبة كذا، فالعقوبة على أفعالكم بقضاء وقدر.